العرب
السبت 2021/01/09
السنة 43 العدد 11935

أين نجح ترامب عالميّا وأين أخفق؟

معالجة الرئيس المنتهية ولايته للسياسة الأميركية الخارجية اعتمدت بالأساس على عيوبه الشخصية

تدور نقاشات أميركية داخلية هذه الفترة حول تقييم السياسة الخارجية للولايات المتحدة خلال عهد الرئيس المنتهية ولايته دونالد ترامب. وتتمركز نقاط الجدل الرئيسية حول مدى قدرته على تصحيح مسار الدولة ورسم مسار أفضل لبلده بالنظر إلى اختلاط الأبعاد الفردية بالخطط الاستراتيجية التي عرفت تقلبات على عدة مستويات واتسمت اتجاهاتها بالتناقض، رغم أنه لا يمكن الخروج بتقييم موضوعي شامل لتلك السياسة في مخرجاتها الكلية.

واشنطن - يركز الباحثون على جرد كل التفاصيل التي رافقت فترة تولي الرئيس دونالد ترامب رئاسة الولايات المتحدة وخاصة على المستوى الخارجي، حيث كانت مليئة بالمفارقات والمتناقضات إلى درجة أن أغلب الوقائع تدل على أنها كانت فاشلة قياسا بالسياسات التي اتبعها أسلافه.

ويمكن ملاحظة أن خطوات ترامب لم تختلف من حيث المبدأ عمّن سبقوه في البيت الأبيض. لكن عند التعمق أكثر، يبدو جليا أن قراراته أثارت غضب المجتمع السياسي الأميركي، كما أن القصور رافق أجندته حينما يتعلق الأمر بما يحدث في الشرق الأوسط أو حتى بالمواجهة مع القوتين العظميين روسيا والصين، أو حتى مع ممارسة الضغط على إيران.

ورغم الدعم الشعبي لسياسة خارجية أقل طموحا وأكثر واقعية، لم يكن ترامب قادرا على ترجمة غرائزه إلى سياسة خارجية ناجحة، لذلك يثير ستيفن أم. والت، وهو أستاذ روبرت ورينيه بيلفر للعلاقات الدولية بجامعة هارفارد، العديد من التساؤلات حول فترة حكم ترامب بكل ما تحمله من متناقضات.

أخطاء فادحة

استخلص والت أن معالجة ترامب للسياسة الخارجية اعتمدت على عيوبه الشخصية، فعبقريته في الترويج وقدرته على تحدي المعايير الحالية لم تستطيعا التغلب على جهله بمعظم مجالات السياسة، فضلا عن قلة خبرته الحقيقية وقصر انتباهه وعدم أمانته وعدم قدرته على وضع المصلحة الوطنية قبل حاجته إلى الاهتمام والتملق.

وبالمقارنة مع الدول الأخرى، تساءل والت حول ارتفاع قوة الولايات المتحدة ومكانتها وتأثيرها العالمي في عهده، وكيف أن تعامل ترامب مع السياسة الخارجية لفت الأنظار إلى كازينوهاته المفلسة، أو شركة ترامب شاتل للطيران، أو جامعة ترامب، أو غيرها من المشاريع التجارية التي فشل فيها.

وللوصول إلى تقييم موضوعي، يجب التركيز على ما وعد ترامب بفعله استنادا على برنامجه السياسي لتطبيق مبدأ "أميركا أولا". فقد نشأت سياسته الخارجية من الشعور بالظلم، واعتقد أن بقية العالم يستغل بلده وأن الحلفاء عليهم دفع الثمن الكامل مقابل تلقيهم حماية من الولايات المتحدة ومواجهة الخصوم وهزيمتهم، مع إيلاء القليل من الاهتمام للمجاملات الدبلوماسية.

وعندما وصل إلى البيت الأبيض، وأعلن عن ملامح سياسته الخارجية، بدا واضحا أنه سيرمم العلاقات التي أفسدتها إدارة سلفه باراك أوباما وسيتدارك المزالق التي أدخلت فيها الإدارة الأميركية السابقة واشنطن، لكن بدا الحصاد على عكس المتوقع.

لقد أراد ترامب أن يمنع الصين من سرقة الوظائف الأميركية ويبعد بلده من تحت سقف "الصفقات السيئة" مثل اتفاقية باريس للمناخ والاتفاقية النووية مع إيران، ووصف نفسه بأنه مفاوض رئيسي، ووعد بالتوصل إلى صفقات تجارية جديدة من شأنها أن تخلق حقبة جديدة من الازدهار.

ويؤكد والت في تحليل نشرته مجلة "فورين بوليسي" الأميركية، أن ترامب تبنى فكرة أن الولايات المتحدة لن تلعب دور المغفل بعد الآن، فهي ستخرج من عملية "بناء الدولة" وستشن حملة على الهجرة وستعيد بناء المؤسسة الدفاعية الضعيفة وستدفع المكسيك إلى دفع ثمن بناء جدار على الحدود الجنوبية.

هنا يشير والت إلى أن ترامب قدم رؤية مغرية وعدت بنجاح غير منقطع عبر بذل جهد إضافي ضئيل أو بدون جهد. ولن تتطلب استعادة الهيمنة الأميركية تضحية شخصية، أو وحدة وطنية، أو حتى إستراتيجية مدروسة جيدًا. ولكن كانت ستتطلب فقط وضع شخص عبقري ومستقر من الناحية النفسية على رأس القيادة "لجعل أميركا عظيمة مرة أخرى" لكن سياسته لم تخل من الأخطاء الفادحة.

وتتمثل سياسته الفاشلة الأكثر وضوحا في ترك اتفاقية باريس للمناخ، والتي كانت على الأقل خطوة أولى مفيدة نحو معالجة أكبر خطر طويل الأجل تواجهه البشرية. وكان من الخطأ أيضا التخلي عن اتفاقية الشراكة العابرة للمحيط الهادئ، في حين أنه كانت هناك محاولة لموازنة الصين في نفس الوقت. أما الخطأ الأكبر فكان ترك الصفقة النووية مع إيران.

اللعبة انتهت

ومع أن الكثير من الإيرانيين تضرروا نتيجة العقوبات الأميركية، إلّا النظام الديني لا يزال في السلطة، بل واكتسب المتشددون نفوذاً أكبر واستأنفت طهران تخصيب اليورانيوم، وزادت من مخزونها ثمانية أضعاف، وقلصت وقت الاختراق إلى النصف.

ويواصل ترامب ووزير الخارجية مايك بومبيو والعناصر المتشددة في اللوبي الإسرائيلي الإصرار على أن السياسة المتمثلة في فرض "ضغط أقصى" تعمل بشكل جيد، لكن مثل هذه الادعاءات ما هي إلا هراء لا فائدة منه.

سجل حافل بالاضطراب

رغم أن ترامب يمكن أن يدعي تحقيقه لبعض النجاحات في السياسة الخارجية، إلا أن سجله العام غير مبشر ولا يحفل بالكثير، حيث أصبح أعداء الولايات المتحدة أكثر خطورة مما كان عليه الأمر في 2016، والولايات المتحدة أصبحت أضعف وأكثر انقساما، والعلاقات مع العديد من حلفاء الولايات المتحدة انحدرت إلى الأسوأ.

ويمكن لترامب أن يدعي تحقيقه عددا من الإنجازات الحقيقية، منها أنه لم يبدأ أي حروب جديدة، ولم ينشئ دولا فاشلة جديدة. وقد يبدو هذا وكأنه مستوى منخفض، لكن لا أحد من أسلافه الثلاثة يستطيع تقديم ادعاء مماثل. ولقد تفاوضت إدارته مثلا على عقد اتفاقية تجارية جديدة مع كوريا الجنوبية وعقد نسخة محدثة من اتفاقية "نافتا"، رغم أن أيًا من الاتفاقين لم يمثل تحسنًا كبيرًا.

ومن خلال التلميح المتكرر إلى أن الولايات المتحدة قد تخرج من حلف شمال الأطلسي (ناتو)، شجع ترامب جهود الأوروبيين لتحمل المزيد من المسؤولية في مجالهم الدفاعي وربما أقنع بعضهم بالموافقة على طلبات الولايات المتحدة بعدم استخدام شركة هواوي الصينية لتشييد بنيتهم التحتية الرقمية.

ويمنح بعض المراقبين إدارته الفضل في إقامة علاقات دبلوماسية بين إسرائيل والعديد من الدول العربية، مع أن الخطوة لم تفعل شيئًا يُذكر لدفع قضية السلام في الشرق الأوسط، ولكن تتطابق هذه القائمة المتواضعة من النجاحات مع قائمة طويلة من حالات الفشل التي لحقتها.

فمع الصين حاول إقناع رئيسها شي جين بينغ بممارسة المزيد من الضغط على كوريا الشمالية، لكن ترامب لم يفلح. كما حاول إقناع بكين بإجراء إصلاحات هيكلية كبرى وإنهاء ممارساتها التجارية والاستثمارية الطموحة، وأطلق في النهاية حربا تجارية مكلفة في محاولة لإجبار بكين على الامتثال، لكنه لم ينجح لأن الصينيين تكيّفوا مع الواقع الجديد.

ستيفن أم. والت

ترامب قدم رؤية مغرية لسياسته دون إستراتيجية مدروسة

لذلك، ليس من المستغرب أن العلاقات مع الصين قد تدهورت باطراد على مدى السنوات الأربع الماضية، وهذا التراجع ليس خطأ ترامب بالكامل. فهو من نواح كثيرة مرتبط بالهيكل الناشئ للنظام الدولي، ولكن خطأه هو تدهور موقف واشنطن داخل هذا الهيكل وفشلها في الاستفادة من زلات بكين.

ولم يكن تعامل ترامب مع القوة العظمى الأخرى روسيا أفضل بكثير، حيث أخبر مؤيديه في عام 2016 أنه "ستكون لدينا علاقة رائعة مع فلاديمير بوتين وروسيا"، ولا يزال احترام ترامب الثابت للرئيس الروسي أمرًا غامضًا. ومع ذلك لم يبذل ترامب أي جهد جاد لتحسين العلاقات أو حتى دق إسفين بين موسكو وبكين، رغم أن القيام بذلك سيكون له معنى جيوسياسي جيد.

وبصرف النظر عن معاقبة عدد قليل من المسؤولين الروس، لم يفعل ترامب الكثير لتحدي الكرملين. وبدلا من ذلك، تعرض للمساءلة بسبب محاولته تعزيز احتمالات إعادة انتخابه عبر حجب المساعدات الأميركية لأوكرانيا حتى تحاول كييف الإيقاع بعائلة الرئيس المنتخب جو بايدن.

وجاءت سياسة ترامب تجاه روسيا بنتائج عكسية، فموسكو لا تزال تتدخل في أوكرانيا إلى اليوم ولا تزال تدعم نظام بشار الأسد في سوريا، كما أن أصابع الاتهام تتجه نحوها باعتبارها الجاني المحتمل في الاختراق الإلكتروني الهائل الذي أضر بشبكات الكمبيوتر التابعة للحكومة الأميركية. وهنا يتساءل روبرت حول ما كان سيقوله ترامب لو حدث هذا في عهد أوباما.

وقدّم تعامل ترامب غير المهذب مع كوريا الشمالية مثالاً آخر على عدم كفاءة سياسته الخارجية، فبعد تبادل بعض الاستهزاءات الطفولية على تويتر مع الزعيم كيم جونغ أون، أدرك أنه يجب أن يتجه إلى الدبلوماسية. وبدلاً من تنظيم مفاوضات منهجية للحد من البرامج النووية والصاروخية لبيونغ يانغ، اختار عقد قمتين استعراضيتين.

ومن خلال اقتناعه بأن سحره الشخصي ومهاراته في إبرام الصفقات يمكن أن يقنعا كيم بالتخلي عن رد الفعل النووي الذي يعتمد عليه بقاء نظامه، إلا أن ترامب لم يحقق شيئًا.

أحداث الكابيتول تذكر بالفوارق الشاسعة بين السود والبيض

واشنطن - يرى سكان ونشطاء وسياسيون بينهم الرئيس الأميركي المنتخب جو بايدن أن التفرقة العنصرية الصارخة كانت واضحة للعيان في الولايات المتحدة، بعد أن اقتحم غوغاء أغلبهم من البيض المؤيدين للرئيس دونالد ترامب مبنى الكونغرس (الكابيتول) بسهولة الأربعاء الماضي ثم غادروا دون عواقب تذكر.

تشارلز مكيني

رد قوات إنفاذ القانون إعلان صارخ للعنصرية الممنهجة

وتعتبر العنصرية من أكثر القضايا المثيرة للجدل في الولايات المتحدة، والتي تشق أنصار الحزبين الرئيسيين، من الجمهوريين والديمقراطيين. وعادة ما تستخدم من قبل المرشحين للانتخابات الرئاسية خلال الحملات الانتخابية لجذب الأصوات مثلما هو الحال مع قضية حيازة السلاح والفقر والدين.

واجتاح مثيرو الشغب حينها الحواجز الأمنية وهشموا النوافذ وسرقوا تذكارات تاريخية ودخلوا لمكاتب الكونغرس وقاعاته، والتقط بعضهم صورا مع أفراد الشرطة وحمل آخرون ما اعتبروه "جوائز" لما فعلوه لدى خروجهم.

وتناقض الافتقار إلى الإجراءات الأمنية المناسبة والعدد المحدود لأفراد الشرطة الموجودين في المكان، رغم دعوات منذ أسابيع لاحتجاج مناصر لترامب اندلعت بعده أعمال الشغب، تناقضا صارخا مع ما حدث خلال احتجاجات سلمية نظمتها حركة "بلاك لايفز ماتر" أو حياة السود مهمة في واشنطن قبل ستة أشهر.

وقالت بياتريس ماندو التي حضرت احتجاجات "بلاك لايفز ماتر" العام الماضي "قالت لي أمي إذا فعلت ذلك ستقتلين بالرصاص.. إنها محقة. لو كانت تلك المجموعة من السود لكان المئات من الأشخاص وربما أكثر سقطوا قتلى".

واتفق بايدن في خطاب أدلى به الخميس الماضي مع فكرة وجود تناقض صارخ في التعامل مع المجموعتين. وقال "لا يمكن لأحد أن يقول لي إن المعاملة لن تختلف اختلافا تاما وبالغا إن كان من احتجوا أمس هم مجموعة من بلاك لايفز ماتر بدلا من حشد الخارجين عن القانون الذين اقتحموا الكابيتول".

ويؤكد مشاركون في احتجاجات حياة السود مهمة في واشنطن أن طريقة التعامل معهم كانت مختلفة للغاية. وقالت آبي كونيخو تعمل في شركة صغيرة في العاصمة واشنطن لوكالة رويترز لقد "كان هناك أفراد من الشرطة في كل تقاطع في واشنطن.. عند كل النصب التذكارية.. وعند الكابيتول وأمام البيت الأبيض".

وواجهت احتجاجات حياة السود مهمة في واشنطن صفوفا من قوات الحرس الوطني أفرادها ملثمون عند نصب لينكولن التذكاري في يونيو الماضي إذ تعهد ترامب وقتها بنهج أمني صارم مع من وصفهم بأشرار وبلطجية خارجين عن القانون.

وذات ليلة أطلقت الشرطة وأفرادها قنابل الدخان والصوت والطلقات المطاطية لإبعاد محتجين سلميين عن البيت الأبيض حتى يتمكن ترامب من السير إلى كنيسة قريبة ويلتقط صورة وهو يرفع الإنجيل. وقالت كونيخو "عاملونا وكأننا أعداء.. أين كان هذا الغضب الخميس؟ لماذا عاملوا هؤلاء الناس كأصدقاء"؟

ويرى تشارلز مكيني الأستاذ المساعد في التاريخ بكلية رودس في ولاية تينيسي أن أحداث الأربعاء في واشنطن كانت تذكرة "بالفوارق الضخمة" في الطريقة التي تعاملت بها جهات إنفاذ القانون بين السود والبيض. وقال إن "رد قوات إنفاذ القانون كان إعلانا صارخا للعنصرية الممنهجة. كان إظهارا لحظوة البيض والفوارق في تنفيذ القانون في هذا البلد".

وعلى الرغم من ظهور ترامب في أكثر من مرة في موضع قوة للرد على المحتجين ضد العنصرية، فإن الكثير من الأوساط السياسية تقر بأن العديد من الحوادث السابقة خلال فترة حكمه أثرت حتما على نتائج الانتخابات الرئاسية، بعدما أصبح الرئيس الجمهوري متهما حتى قبل وصوله إلى البيت الأبيض بأنه عنصري ومعاد للسود بشكل خاص.

والحرب الأهلية التي مزّقت الولايات المتحدة بين 1861 و1865 كان سببها الأساسي نظام العبودية، الذي انقسمت بشأنه البلاد بين ولايات شمالية حاربت هذا النظام وأخرى جنوبية رفضت تحرير العبيد وأعلنت انفصالها عن الاتحاد وتأسيس كونفدرالية.

وبعد يومين على أعمال العنف التي اجتاحت مبنى الكابيتول وهزت الولايات المتحدة وأثارت صدمة في العالم، تبدو رئاسة دونالد ترامب على حافة الانهيار بعد صدور دعوات للاستقالة وخطط لإجراءات عزله مع توجيه سيل من الانتقادات لرئيس متهم بأنه قوّض المؤسسات وصبّ الزيت على النار.

اقتحام مبنى الكابيتول في الولايات المتحدة

6 يناير 2021